

آدَابُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي الْكَلَامِ

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه



هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ٦٠ حتى الصفحة ٦٥

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM

قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

آدابه في الكلام ﷺ

كان ﷺ يتكلم بكلام مفصل مبيّن ، بحيث لو أراد مستمعه أن يعدّه لأمكنه ذلك ، لوضوحه وبيانه .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : (ما كان رسول الله ﷺ يسرد الحديث كسر دكم هذا ، يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه) رواه الشيخان وزاد الإسماعيلي في روايته : إنما كان حديث رسول الله ﷺ فهماً تفهمه القلوب .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان كلامه ﷺ فصلاً يفهمه كل من سمعه) .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال : (كان في كلامه ﷺ ترتيل أو ترسيل) .

وفي الصحيحين عن أنس : (أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً^(٢) حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم ، سلم

(١) وقد أورد هذا الحديث بتمامه في شرح المواهب ، وعزاه إلى عبد البر والحاكم ، قال الحافظ القسطلاني : وقد كان هذا من خصائصه ﷺ : أن يكلم كل ذي لغة بلغته ، على اختلاف لغة العرب ، وتراكيب ألفاظها وأساليب كلمها ، اهـ .

(٢) ومن حكمة ذلك : أن تكون الأولى للإسراع ، والثانية للوعي ، والثالثة للفكرة . أو : الأولى للإسراع ، والثانية للتنبيه ، والثالثة للأمر ؛ على أن الثلاثة فيها غاية الاعذار والبيان ، فمن لم يفهم بها لا يفهم بما زيد عليها .

عليهم ثلاثاً ، وكان ﷺ يتكلم بكلام فصل لا هزر ولا نزر ، ويكره
الثرثرة في الكلام ، والتشدد به .

وكان ﷺ يكره التنطع في الكلام والتكلف في فصاحته ، كما ورد في
(سنن) أبي داود والترمذي بالسند الجيد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ
قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي يَتَخَلَّلُ
بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرُ بِلِسَانِهَا » (١) .

وكان ﷺ إذا خطب لا يُخَلِّ ولا يُمِلُّ : .

روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : (كنت أصلي
مع النبي ﷺ فكانت صلاته قَصْداً ، وخطبته قَصْداً) - أي : وسطاً .

وروى أبو داود عن جابر بن سمرة رضي الله عنه : (كان رسول
الله ﷺ لا يُطِيلُ الموعظة يوم الجمعة ، إنما هي كلمات يسيرات) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث حكيم بن حزام رضي الله
عنه قال : (شهدت مع رسول الله ﷺ الجمعة ، فقام متوكئاً على عصاً
- أو قوس - فحمد الله وأثنى عليه ، كلمات خفيفات ، طيبات ،
مباركات) .

حاله ﷺ وهو يخطب :

كان ﷺ يتغير حاله عند الموعظة ، اهتماماً وإعظاماً ، ويُعرف ذلك
في وجهه ﷺ .

(١) قال في (النهاية) : هو الذي يتشدد في الكلام ، ويفخم به لسانه ،
ويلفه ، كما تلف البقرة الكلاً بلسانها لفاًه .

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ إذا خطب اشتد غضبه ، وعلا صوته ، واحمرت عيناه ، كأنه منذر جيشٍ يقول : صَبْحَكُمْ وَمَسَاكُمْ .

وروى الطبراني والبخاري عن جابر : كان النبي ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ : قلت نذير قوم أتاهم العذاب ، فإذا ذهب عنه ذلك رأيتَه أطلق الناس وجهاً ، وأكثرهم ضحكاً ، وأحسنهم بشراً^(١) .

وروى الإمام أحمد عن الزبير بن العوام قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا ، فيذكرنا بأيام الله ، حتى يعرف ذلك من وجهه ، وكأنه نذير قوم يُصَبِّحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل ، لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه .

قوة وعظه وتذكيره وتأثيره في الصحابة :

كان ﷺ إذا وعظ أثر في قلوب السامعين ، وطيب نفوسهم ، حتى إنهم لتذرف دموعهم ، وترق وتخشع قلوبهم ، ويرتقي الحال بهم إلى المشاهدات والمعانيات .

فعن حنظلة بن الربيع قال : (لقيني أبو بكر الصديق فقال لي : كيف أنت يا حنظلة ؟ فقلت له : نافق حنظلة . فقال لي : انظر ما تقول !!! فقلت له : نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة كأننا رأينا عين ، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيّعات ، ونسينا كثيراً) الحديث .

(١) انظر (جامع العلوم والحكم) .

وروى الترمذي عن العَرَبِاضِ بن سارية أنه قال : (وَعَظْنَا رسول الله ﷺ موعظةً وُجِلت منها القلوب ، وذَرَفت منها العيون) .
وفي رواية لغير الترمذي : (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة مضت - احترقت - منها الجلود ، وذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب) .

فقلنا : (كأن هذه موعظة مودع يارسول الله ، فإذا تعهد إلينا ؟) .

فقال : « أن اتقوا الله ، وأن تتبعوا سنتي وسنة الخلفاء الهادية المهديّة من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة » (١) .
وقال أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ : لو أني أكون على أحوالِ ثلاثة من أحوالي ، لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن وحين أسمعه ، وإذا سمعت خطبة رسول الله ﷺ ، وإذا شهدت جنازة .

بل كانت خطبه ومواعظه ﷺ تؤثر في الجمادات ، كما ورد في المسند - وأصله في مسلم - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وما قَدَرُوا الله حقَّ قَدْرِهِ ، والأَرْضُ جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسَّمَوَاتُ مطوياتٌ بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يُشْرِكُونَ ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده : يحركها ، يقبل بها ويدبر :

يَمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسَهُ : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ،

(١) وانظر الجزء الثالث من (المطالب العالية) .

أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر ، حتى قلنا ليخرنَّ به ! أساقط
هو برسول الله ﷺ ؟) كما في رواية مسلم .

فالمنبر يهتز تأثراً بوعظه وتذكيره ﷺ فويل للقلوب التي لا تهتز
بمواظبه ﷺ .

تنبيهه ﷺ الخطباء والواعظين إلى مسئوليتهم عند رب العالمين :
لما كانت مواقف الخطابة والوعظ والتذكير مواقف مهمة خطيرة ،
لذلك كان ﷺ ينبه الخطباء إلى إخلاص النية في خطبهم ، وأن وراء
ذلك مسؤولية عند رب العالمين :

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلًا بإسناد جيد^(١) عن مالك بن
دينار عن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد
يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ، ما أراد بها ؟ » .

قال : فكان مالك بن دينار إذا حدّث بهذا الحديث بكى ثم يقول :
تحسبون أن عيني تقرُّ بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله عزَّ وجل سائلني
عنه يوم القيامة : ما أردتَ به ؟ فأقول : أنت الشهيد على قلبي ،
لو لم أعلم أنه أحبُّ إليك ، لم أقرأ به على اثنين أبداً .

كما وأنه ﷺ حذر من تصنع الكلام ليسبي به قلوب الرجال :
فروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ تَعَلَّمَ صَرَفَ الْكَلَامَ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ - أَوْ

(١) كما في ترغيب المنذري ١ : ١٢٥

الناس - لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» (١) .